العائلات بلغ ٢٠٠ عائلة في فلسطين في الفترات الاخيرة من القرن التاسع عشر، بعد ان كانت لا تتجاوز الخمسين عائلة في اوائل القرن نفسه(١).

وبالطبع، فإن عملية الاستدلال على وضع الطبقات الاقتصادي ــ الاجتماعي تحتمل طريقين اثنين:

الاول، وهو دراسة معمّقة لعلاقات الانتاج السائدة في تلك الفترة توضح اسلوب الانتاج السائد ووسائل حصول هذه الطبقة او تلك على نصيبها من الثروة الاجتماعية. ومع صعوبة هذه الطريقة إلا انها الاكثر قدرة على اشتمال كل عناصر التشكيلة الاجتماعية الاساسية، وعلى هذا الاساس فإنها المفضّلة للدخول في مثل هذا المجال الاقتصادي ــ الاجتماعي.

اما الثاني، فهو دراسة الانعكاسات السياسية الثقافية والاجتماعية لهذه الطبقات بما يتيح كشف جوانب تكوينها الاجتماعي المختلفة مع إدراكنا المسبق ان هذه الانعكاسات ليست إلا تعبيراً نسبياً له استقلال نسبي ودور مؤثر في تشكل هذه الطبقات.

ومع انه من غير المطروح نقاش هذا الاسلوب الاخير. إلا ان اي قارىء لكتب «إحسان نمر»، مثلاً، كتعبير عن بقايا هذه الطبقة، يستطيع ملاحظة ودراسة إدراك هذه الطبقة ومفاهيمها وربطها بالعلاقات الطبقية التي سادت، وإن كان هذا لا يعني انها قد تبلورت بشكل كامل لعوامل عديدة منها قصر الفترة التي ظهرت فيها هذه العائلات وحكمت؛ حيث لم يجر الانعكاس الحتمي لإشكال الادراك الاجتماعي عن واقعها الطبقي.

إذاً فنحن، حتى الآن، ننطلق من افتراض اساسي ــ غير مثبت هنا ــ يقول بسيادة التشكيلة الاقتصادية ــ الاجتماعية الاقطاعية، وبوجود طبقة إقطاعية فلسطينية في هذه المنطقة؛ وهذا الافتراض يطرح التساؤل المهم التالي وهو: **مامدى تجانس هذه الطبقة، وكيف عبّر هذا التجانس او عدمه عن نفسه تاريخياً؟**. فإن كل طبقة هي مترابطة المصالح من الزاوية الاساسية، ولكن شتان بين ترابط المصالح من طبقة إلى اخرى؛ فالبرجوازية الصناعية، مثلاً، بقاعدتها المادية العريضة ومؤسساتها الكبيرة، تمكن من وضع الشروط المادية لتوحيد شرائح البرجوازية في طبقة برجوازية قومية موحّدة، مندمجة ومترابطة فيما بين فروعها المختلفة ترابطاً عضوياً، ومن ثم ينعكس ذلك على مختلف الطبقات الاخرى، حيث يختفي الطابع المحلي والفئوي القائم على اساس ديني او عشائري او غير ذلك. بينما الكمبرادور، مثلاً؛ وهي طبقة طفيلية مفككة الاوصال، ومعتمدة على المشروع الفردي والعائلي، اساساً، لا تمكّن من حدوث تداخل كافة فروع الاقتصاد واندماجها في نظام مترابط؛ وهذا ما يضع الاساس الموضوعي لاستمرار الانقسام العائلي والطائفي، مثلاً، الذي تعمّق في عهود الاقطاع السابقة.

اما الطبقات الاقطاعية، في عهود ما قبل الرأسمالية، فان هناك الكثير من الانشقاقات العمودية التي تقطع وتفصل الخطوط الطبقية الافقية لها كالدين والعائلة مثلاً؛ وهي محافظة من حيث ان الصراعات داخلها لا تأخذ بعداً ايديولوجياً يعبّر عن